ملحمة كربلاء في الأدب البكتاشي والألباني

الأستاذ المساعد الدكتور
حامد ناصر الظالمي
كلية التربية ـ جامعة البصرة

The Epic of Karbala in the Albanian and Bektashi Literature

Assist.Prof.Dr.Hamid Nasir AL-Dhalimi
Education College
University of Basrah

Absrract

Bektashism is a mystic Order founded by Sheikh Muhammad Ibn Ibrahim ‹Ata› died in 1336 A.C. This order is mainly found in Turkey and it›s a mixture of the concept of Wahdat-ul-Wujood or ‹Unity of Being›.

The Bektashiya Order adopted the teaching of Ahl Al-Bait or ‹Family of the Prophet Muhammad›. Haji Bektash; the founder› wrote Maqalat or ‹Essays› which a book that adopted the Twelvers or ‹The Twelve Imams› Followers Teachings›،Tawali or ‹Succession›، and Tabri›a or ‹Exoneration›.The name of the order id derived from its founder›s name; Bektash.

The order developed after the friendship of the Bektashi dervishes and the Ottoman Soldiers knows as the Inkishariien of ‹The new Soldiers or Army›.

Both fought in Balkan and gradually the connection between both sides got stronger. The legend said The New Army was formed by the blessings of Haji Bektash Weli or ‹Bektash the Saint›.Haji Bektash was born in Nishapur in 1248 A.C. from Persian Family.

His genealogy is connected to Imam Ali Ibn Abi Talib through Imam Musa Al-Kadhim (Peace Be Upon Them).

It is narrated he refused authority after his father›s death and became mystic till he was advised by one his mentors; Ahmad Al-Yousifi to travel to Anatole. On his way there، he visited the Holy Sites in Iraq (The pilgrimage to the Holy Sites became a tradition for the followers of the Order). He arrived to Anatole and established the first Bektashi headquarter. He died in 1341 A.C.

ملحمة كربلاء في الأدب البكتاشي والألباني

الاستاذ المساعد الدكتور
حامد ناصر الظالمي
كلية التربية – جامعة البصرة

المستخلص

البكتاشية هي طريقة دينية صوفية تركية اسسها الشيخ محمد بن ابراهيم آتا الشهير بالحاج بكتاش المتوفى في عام ١٣٣٦م وهي من الطرق التي سايرت البيئة التركية وهي مزيج من عقيدة وحدة الوجود، فالطريقة العلمية البكتاشية هي تعاليم أهل البيت الطاهرين عليهم السلام وقد وضع الحاج بكتاش كتباً ومقالات اتبع فيها تلك التعاليم الاثنى عشرية وتولي التبرئة، وهكذا اصبح الاسم مرتبطا بمؤسس الطريقة الحاج بكتاش.

ويتميز الادب البكتاشي بطول النفس الملحمي، فقد كتب الأدب البكتاشي والألباني أطول الملاحم في الإمام الحسين عليه السلام واتسم هذا الادب بغزارة الانتاج واشتهر منهم الاديب الشامي الألباني الأصل البكتاشي (معروف الارناؤوط) مؤلف للعشرات من الكتب.

وقد كتب هذا الاديب وغيره من الادباء ملاحم شعرية كبرى عن الإمام الحسين عليه السلام وملاحم اهل البيت عليهم السلام حتى اصبح لواقعة كربلاء أكبر الاثر في الادب الالباني ويكشف لنا هذا البحث عن طبيعة هذا الاثر وكيف تناول هذه الواقعة.

المقدمة

استكملت وزارة الأوقاف العراقية إحدى أهم التكايا البكتاشية في العالم والتي تقع في كربلاء، فأمرت بهدمها سنة ١٩٨٠م، وكانت هذه التكية التي تجاور قبر الشاعر فضولي البغدادي، ويعود تأريخها إلى أكثر من قرنين، وتجاور الروضة الحسينية من جهة الجنوب وتضم قبة كبيرة ومحراباً في الأرض مبنياً بالقاشاني يتوسطه عمود من المرر النفيس. وفي هذه التكية كان يلتقي الباشوات والأدباء ورجال البكتاشية القادمون من اسطنبول بين حين وآخر ويلتقي بها شعراء كربلاء ومنهم الشيخ مهدي الخاموش الذي كان يقصد التكية في عهد السيد

تقي الدرويش عميد أسرة آل الددة الحاليين والشاعر الشيخ جمعة الحائري والشيخ محمد أبو الحب خطيب كربلاء. وكذلك الخطيب الشيخ علي أبو غزالة وذلك في عهد المرحوم السيد حسين الددة ابن السيد عباس ابن السيد محمد تقي الدرويش.

ومن المعروف أن تلك الجلسات كانت تطغي عليها الأحاديث الأدبية والدينية، وكانت هذه التكية خاصة وكربلاء بل والعراق عامة مصدر إلهام واستقطاب للبكتاشية في العالم على مدى قرون[١]. هذه التكية هي واحدة من ست تكايا للبكتاشية مقدسة في العالم وتُعد أهم مراكز البكتاشية وهي:

١. تكية الحاج بكتاشي الولي في قيرشهر التي تغطي وسط غرب الأناضول.
٢. تكية عبد آل موسى سلطان التي تغطي المناطق الأخرى من الأناضول.
٣. تكية شاه قولي سلطان التي تغطي المناطق المتاخمة لشاطيء البحر الأسود.
٤. تكية عبدالمؤمن في كربلاء التي تغطي العراق وبلاد الشام وفارس.
٥. تكية فيران سلطان في النجف التي تغطي المناطق الأخرى في المشرق العربي.
٦. تكية سعيد علي سلطان في ديموتيك التي تغطي البلقان.

وهكذا يلاحظ أن العراق لوحده يضم مركزين من مراكز البكتاشية الست في العالم الإسلامي[٢].

ولكن على الرغم من الانتشار الكبير للبكتاشية في العالم الإسلامي والأوربي و(التي جذبت الآف المريدين من الصفوة والعامة ورجال الدولة، ماتزال حتى الآن لغزاً من ألغاز تأريخ مصر الحديث لأنها ارتبطت كذلك بأسرة محمد علي باشا المالكة التي دعمتها وقدّمت لها العون)[٣].

المبحث الاول:

البكتاشية (قراءة تأريخية)

البكتاشية طريقة دينية صوفية تركية (أسسها الشيخ محمد بن إبراهيم آتا الشهير بالحاج بكتاش المتوفي في عام ١٣٣٦م وهي من الطرائق التي سايرت البيئة التركية... وهي مزيج من عقيدة وحدة الوجود، فالطريقة العلمية البكتاشية هي تعاليم أهل البيت الطاهرين عليهم السلام وقد وضع الحاج بكتاشي كتاباً سمّاه مقالات اتبع فيه تلك التعاليم الإثني عشرية والتوالي والتبرئة)[٤].

وهكذا أصبح الاسم مرتبطاً بمؤسس الطريقة الحاج بكتاش وتطورت هذه الطريقة وخاصة بعد (مصاحبة الدراويش البكتاشيين للجنود العثمانيين الجُدد الانكشاريين ومشاركتهم في المعارك التي جرت في البلقان، فقد أدّت مع الزمن إلى نشوء صلة وثيقة بين

الطرفين وإلى ظهور الأسطورة القائلة بن الجيش الانكشاري قد أُنشيء في الأصل بمباركة من الحاج بكتاش الولي)[٥]. والحاج بكتاش ولِد في نيسابور عام ١٢٤٨م وهو ينحدر من عائلة فارسية كبيرة ويرتبط بنسبٍ إلى الإمام علي عليه السلام عن طريق الإمام موسى الكاظم عليه السلام ويُذكر عنه أنه رفض السلطة بعد وفاة والده وأصبح زاهداً ومنقطعاً للعبادة حتى نصحه أحد شيوخه وهو أحمد اليوسفي بالذهاب إلى بلاد الأناضول، وفي طريقه قام بزيارة العتبات المقدسة في العراق الشيء الذي أصبح تقليداً لدى البكتاشيين الألبانيين فيما بعد. وفي عام ١٢٨١م وصل إلى الأناضول وفي سنة ١٢٨٢م أسس أول تكية بكتاشية توفي عام ١٣٤١م عن ٩٣ عاماً[٦].

بعد قرنين أي في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر أُعيد صياغة البكتاشية وتعاليمها (مع المؤسس الثاني للبكتاشية بالم سلطان ١٤٧٢-١٥١٧ حيث أصبحت مؤسسة على أسس جديدة، ويرى المؤرخ التركي أناجليك ومعه كثيرون أن البكتاشية طريقة مهجّنة، وتجدر الإشارة إلى ملاحظة المستشرق تشودي في دائرة المعارف الإسلامية التي يوضّح فيها أن بكتاشية الحاج الولي تتميز بالبساطة أستناداً إلى كتابه (مقالات) الذي كتبه في الأصل بالعربية، لأن الأسرار والرموز التي لحقت بالبكتاشية جاءت فيما بعد على يد المؤسس الثاني وفي الواقع أن البعض يعتبر بالم سلطان هو المؤسس الحقيقي للبكتاشية كما أصبحنا نعرفها. فقد أعطى بالم سلطان البكتاشية طابع المؤسسة المنظمة التي تقوم على تقاليد منظّمة وطقوس محددة وعلى عقائد تندرج في الانفتاح من القاعدة باتجاه القمة وبالاضافة إلى هذا فقد أدخل بالم سلطان تغييراً مهماً ألاّ وهو تكريس التجرّد أي العزوف عن الزواج لآباء البكتاشية)[٧] حتى هذا اليوم توجد صورة لضريح الحاج بكتاش على العملة التركية لأهمية هذا الرجل عند الأتراك، ويطلقون على (الجيش الانكشاري أنهم أبناء الحاج بكتاش)[٨]. ويصف المستشرق تشودي لباسهم فيقول (يتألف لباس البكتاشية من عباءة بيضاء وقلنسوة (سكه) بيضاء ذات أطراف عديدة مثلثة الشكل يبلغ عددها عادة إثني عشر أي بعدد الأئمة ويلبس البابا حول هذه القلنسوة عمامة خضراء ويضع البكتاشية حول رقابهم حجاباً من الحجر يُسمى تسليم تاش وتتألف بزّتهم الكاملة زيادة على ذلك من بلطة ذات حدّين وعصاة طويلة. ويضع العُزّاب منهم أقراطاً في آذانهم تمييزاً لهم عن غيرهم)[٩].

ومن معتقدات البكتاشية التي يذكرها الدكتور محمد موفاكو الأرناؤوط الخبير بهم (من معتقدات البكتاشية الألبانية أن الذي يدخل البكتاشية لا يحتاج إلى أن يتوضأ سوى مرة واحدة، حيث أن هذا الوضوء يؤدي إلى غسل ذنوبه السابقة وبالاستناد إلى الحديث

النبوي أنا مدينة وعليّ بابها تعتبر البكتاشية أن الكثير من آيات القرآن لا تُفهم حسب الظاهر وإنما حسب المعنى الذي كان يعرفه الإمام علي عليه السلام ومن بعده الأئمة وصولاً إلى حاجي بكتاش مؤسس الطائفة)[١٠]. وتُعد التكية عند البكتاش مركزاً ثقافياً مهماً. إذ يقضي الدراويش سنوات طويلة يتعلمون اللغات الأساسية (العربية والتركية والفارسية) ويطلعون على المؤلفات الأدبية والدينية وينسخون الكتب والأعمال الصوفية، وكل تكية تتضمن مكتبةً غنية بالمخطوطات والكتب وهو الأمر الذي أغنى البكتاشي بلغاتٍ عديدة[١١]. وتخلو (التكية البكتاشية من وجود القبلة فإجتماعات الذِكر والتذكير للمراتب المختلفة التي تنوب عن الصلاة. كانت تتخذ شكل الدائرة بحيث يقابل كل انسان وجه انسان آخر. وفي هذا لا يتجه البكتاشيون إلى قبلة معينة إذ ليس لك أفضل من أن تقابل أو توجّه ذاتك نحو إنسان آخر)[١٢].

وهناك فرق بين ما يُنسب للبكتاشية وبين ما يقولونه هم إذ يقول الدكتور محمد موفاكو: (ربما يعود ذلك إلى أن البكتاشية تنظيمٌ مراتبي يعطي لكل مرتبة فيه نصيباً معيناً من المعرفة بحيث أن الأهداف الحقيقية تبقى محصورة في فئة ضيقة للغاية. وهي طائفة مثلثة في شعارها الله محمد علي، هي مثلثة في هدافها الجوهرية الانسان الكامل وحدة الوجود وحدة الأديان وهي مثلثة أيضاً في ميزتها، صوفية، شيعية، سياسية[١٣]. ولعلنا نسمع في مدينة كربلاء كلمة الددة أو عشيرة الددة، فإذا ما رجعنا إلى أصل اللفظة وتابعنا تراتيبة الطريقة البكتاشية نجد ان كلمة الددة تعني رئيس الطريقة لأن التراتية البكتاشية هي كالآتي:

١. العاشق وهو الذي يحب الطريقة ويعتنق مبادئها وله رغبة في الانضمام إليها ويكثر الحضور إلى التكية.
٢. الطالب وهو الذي يعلن رغبته بالانضمام ويرشحه الشيخ لذلك ليتقبل الإقرار ويعطي العهد وتُقام له حفلة لهذا الغرض.
٣. المُحب ويكون مطبق الضم وهو الطالب الذي انتسب بعد حفلة الإقرار إلى الطريقة البكتاشية وحصل على البيعة.
٤. الدرويش وهو الذي يتبحّر في آداب الطريقة وعلومها ويلم بأركانها ومبادئها ويهب نفسه لخدمة العامة فيها، والاختبارات هنا تصل إلى ألف يوم ويوم.
٥. البابا وهي درجة المشيخة ولا يصل إليها إلاّ الدرويش بعد مدة طويلة ويكون قد عرف الرمز وألَمَّ بها.
٦. الددة وهو الخليفة ولا يمنح هذه المرتبة إلاّ شيخ المشايخ الذي يُعد بمثابة رئيس لهذه الطريقة ويكون الددة رئيساً لفرع من فروع الطريقة.
٧. الددة البابا وهو شيخ المشايخ ويُنتخب من الخلفاء وهو المدير العام لشؤون الطريقة وأتباعها في العالم[١٤].

وجود هذا اللقب البكتاشي في العراق هو الدليل الوحيد على الأثر العراقي أو الأثر المتبادل بين الثقافة العراقية والبكتاشية، إذ توجد صلات أخرى وثيقة للبكتاشية مع العراق (منذ بداية انتشارها وحتى ذروة نفوذها في البلقان باعتباره المصدر الروحي الثقافي... فقد كانت التقاليد البكتاشية تحرص على سبيل التكوين الروحي الثقافي الأفضل للدراويش أن ترسلهم إلى العراق بالذات لمدة ثلاث سنوات حيث كانوا يزورون هناك العتبات المقدسة ويقيمون في المراكز الروحية الثقافية لكي يعودوا في أحسن مستوى... فالعراق المقدس روحياً والبعيد جغرافياً، كان يُرسل إليه كلّ درويش يتورط في خطأ ما. حيث كان الدراويش يذهبون في هذه الحالة إلى العراق للتكفير عن ذنوبهم أو للتطهر قبل أن يعودوا إلى أماكنهم لممارسة نشاطهم من جديد)[١٥].

واستمر التواصل الروحي بين العراق المقدّس الذي يضم العتبات المقدّسة بالنسبة للمسلمين عامة وللبكتاشية خاصة. وأن زيارة البكتاشيين للعراق قد تصاحبها إقامة طويلة تصل إلى عدة سنوات وكانت آخر زيارة هي الباب حمزة الذي تُوفي سنة ١٩٥٢[١٦].ليس هذا فحسب بل أن الأثر العراقي يمتد إلى رأس التكية وهو البابا فعلى مدى (مئتي سنة تعاقب ثمانية آباء من العراقيين عى رئاسة البكتاشية ف العالم وهم:

١. بابا موسى البغدادي ١٥٢٢-١٥٥٣.
٢. بابا قاسم البغدادي ١٦٢٧-١٦٤٣.
٣. بابا أمين الكربلائي ١٦٤٣-١٦٥٥.
٤. بابا زين العابدين البصري ١٦٦٠-١٦٦٢.
٥. بابا سيدي مقصود البغدادي ١٦٩٤-١٧١٣.
٦. بابا صالح علي البغدادي ١٧١٣-١٧٢٥.
٧. بابا منصور البصري ١٧٢٥-١٧٣٦.
٨. بابا سليم البغدادي ١٧٤٤-١٧٥٣[١٧].

وهناك عدد من الآباء البكتاشيين هم ليسوا من العراق أو ذوي أصول عراقية ولكنهم ذهبوا للعراق وأقاموا فيه مدةً وبعد عودتهم تميزوا على أقرانهم منهم: (بابا طاهر نصيبي الذي ولد في قرية فراشر بجنوب ألبانيا في منتصف القرن الثامن عشر وبعد أن أصبح درويشاً في الطريقة البكتاشية ذهب إلى العراق وبعد عودته أسس في مسقط رسه تكيةً بكتاشية بقي يديرها إلى أن توفي سنة ١٨٣٥، وقد قُدر لها أن تمارس تأثيراً كبيراً في جنوب ألبانيا وأن تلعب دوراً ثقافياً وقومياً مهماً في الأحداث على مدار قرن من الزمن تقريباً وكان من الشعراء المجيدين، فقد تميز بكتابة القصائد الصوفية والغزلية في عدة لغات (العربية والتركية والفارسية) وبعد عودته من العراق توقف في مدينة ليسكوفيك الألبانية حيث إلتف حوله علماء المدينة ليتعرفوا على ثقافية فأدهش الحاضرين بقصيدة واحدة من وحي اللحظة رد بها على كل اسئلتهم)[١٨].

والزعيم البكتاشي الثاني الذي زار العراق هو بابا حاجي علي (ولد في مدينة الباسان بوسط ألبانيا وفي ١٨٤٥ ذهب إلى تكية الحاج بكتاش وأصبح درويشاً هناك أرسل إلى تكية جيروكاسترا بعد وفاة بابا حسين حيث بقي ٤٦ سنة على رأس هذه التكية. ذهب إلى العراق وفلسطين وألّف بعد عودته كتاباً عن جولته يقع في ألف صفحة بعنوان الاصطلاحات الصوفية... وله ديوان شعر بالعربية وآخر بالفارسية)[١٩]. والزعيم البكتاشي الثالث الذي زار العراق هو بابا آدم وجهي الذي (ولِد سنة ١٨٤١ في مدينة جاكوفا الغنية بتكاياها المختلفة، تثّر في شبابه بالمحيط البكتاشي وذهب إلى تكية فراشر التي مرَّ ذكرها حيث أصبح درويشاً في سنة ١٨٧٢ فذهب إلى الأناضول ومن هناك إلى العراق وفي عام ١٨٧٧ أرسله بابا علوش بعد أن رفعه إلى رتبة بابا إلى مدينة بريزرن حيث أنشأ تكية هناك بمساعدة مريديه وقد عُرف عن ثقافته الواسعة إذ أنه كان يجيد اللغات الأساسية (العربية والتركية والفارسية) وكان ينضم الشعر أيضاً)[٢٠]. والزعيم البكتاشي الرابع الذي زار العراق هو بابا حمزة الذي (ولِد في مدينة جاكوفا حيث اتصل في شبابه بالتكية البكتاشية في مدينة بريزرن المجاورة وانضم إلى البكتاشية على يد بابا آدم وجهي، وذهب إلى تكية الحاج بكتاش في الأناضول ومن هناك قام بجولة طويلة في العراق وبلاد فارس قبل وفاته عام ١٩٥٢، فعاد بثقافة واسعة ومعرفة ممتازة باللغتين العربية والفارسية... وقد اشتهر في حياته بالتأليف ونظم الشعر في العربية والفارسية والألبانية)[٢١].

المبحث الثاني:

البكتاشية والمسيحية:

يؤكد المستشرق شودي على أنه توجد علاقة قوية بين النصرانية والبكتاشية إذ يقول: (وقد حدت العناصر النصرانية الهامة الموجودة في طريقة البكتاشية إلى الظن بأنهم كانوا في الأصل من النصارى الذين لم يأخذوا من الاسلام إلاّ مظاهره، فنجد عندهم عقيدة التثليث وقد أحلّوا علياً مكان عيسى (الله محمد علي) وهم يحتفلون بما يشبه العشاء الرباني فيوزعون النبيذ والخبز والجبن في اجتماعاتهم بميدان أوضي سي في صحن التكية المُعد لذلك. وهذا الاحتفال يشبه ذكر طرق الدراويش الأخرى وإن كان البكتاشية أنفسهم ينكرون أنهم يقومون بالأذكار، احتفالاتهم هذه تذكرنا – بالأرتوتيرات وهم أتباع فرقة نصرانية تحتفل بقداس عيد القربان الذي كانت لهم صلة بفرقة المنتاتيست وهم أتباع فرقة نصرانية أسسها منتانوس في القرن الثاني للميلاد – والبكتاشية يعترفون أيضاً، بخطاياهم إلى البابا، أي شيخهم ويتلقون منه المغفرة والخمرة غير محرّمة عندهم بالنسبة إلى قيمة النبيذ الكبيرة ونساؤهم لا

يتحجبن ويعيش فريق منهم معيشة العزوبة ولعلّها القاعدة التي كانت متبعة عندهم في الأصل وهي شاهد قوي على أن هذه الطريقة من أصل غير إسلامي)[٢٢].

ويرى الباحث في الشؤون البلقانية الدكتور محمد موفاكو أن بعضهم يجد في البكتاشية حّلاً نوعياً يسهل لمريدها الجمع بين مسيحيتهم السابقة واسلامهم المعلن[٢٣]، ويضيف (أراد صاحب البكتاشية إلغاء الملكية الفردية واشاعة كل ما يحيط بالانسان عدا. النساء كذلك تجدر الاشارة إلى حركة الراهب كوستور في القرن السابع عشر أي في القرن الذي بدأ فيه انتعاش البكتاشية في البلقان، لقد نادى هذا الراهب بدين تصالحي بين الاسلام والمسيحية يعتمد على خليط منتخب ومتجانس من الديانتين. إلاّ أن هذه الدعوة جوبهت برفض الطرفين اللذين حاول توحيدهما. لذا فهذه الظروف تتيح لنا أن نتفهم كيف ن البكتاشية حين انتقلت إلى البلقان وجدت وسطاً مهيئاً للاحتفال بها)[٢٤]. لذلك فقد حاولت هذه الطريقة بتعاليمها كسب إعداد كبير من الألبانيين ذوي الأصل المسيحي الذين وجدوا فيها تعاليم متسامحة معهم ومتقاربة من أفكارهم السابقة إذ أن التركيبة البلقانية مكوّنة من مسيحيين ارثودوكس ومسلمين. وقوميات أخرى عديدة. ولا ننسى أن (الإنكشاريين الذين كانوا من أبناء المسيحيين أصلاً... وفي هذا الاطار نشير إلى أن الاسلام كما كانت تفهمه البكتاشية يقبل مساواة الأديان مع بعضها البعض والذي يهتم بالقيم الجوهرية أكثر من اهتمامه بالمظاهر الشكلية والذي يتساهل في بعض تعاليمه أنه كان مقبولاً أكثر بالنسبة للفلاحين في البلقان)[٢٥]. والبكتاشية التي تسرّبت تعايشت مع المسيحية (وخلت تعاليمها من أية ميول ضد المسيحيين أو ضد الأديان الآخرى مما أدى إلى أن تكون التكايا البكتاشية مفتوحة لكل انسان)[٢٦].

التقارب بين المسيحية والبكتاشية ليس جديداً فهما من منبعٍ واحد هو الشرق لذلك فالألبان مثلاً تكثر لديهم أسماء مثل (فاتمير) أي فاطمة وان (النطق الأكدي للعذراء هو بتلت وفي لغة أوغاريت (الكنعانية) بتلت وأيضاً في الآرامية بتولتا وفي العبرية بتولا وفي العربية بتول وتعني العذراء، وإذا أخذنا بهذا التفسير نتوصل إلى أن الحسين عليه السلام ابن مريم العذراء فاطمة الزهراء وبذلك فهو يطابق السيد المسيح ابن مريم العذراء)[٢٧]. والمسيحية منتشرة أصلاً في الشرق وفي العراق تحديداً منذ القرن الميلادي الأول، فحياة الحسين عليه السلام وعيسى عليه السلام وشهادتهما متقاربة، وهي دليل على تقارب الثقافات والأديان فالإمام الحسين عليه السلام ولِد وعاش بين مكة والمدينة ومات في كربلاء، أمه فاطمة الزهراء البتول عليها السلام وكان استشهاده فيه عنف وقسوة وتضحية أسوة بالسيد المسيح عليه السلام ومسيرته إلى كربلاء تشبه من قريب مسير

السيد المسيح في طريق الجلجلة أي طريق الآلام لأنه كان يعرف أنه ذاهب إلى قدره بعد ن تخلى عنه أنصاره. وكذلك الحال مع الإمام الحسين الذي تخلى عنه اتباعه في الكوفة. وأن اتباع عيسى وحواريه هم اثنا عشر شخصاً وأئمة أهل البيت كذلك، وعند محاولة صلب المسيح كانت أمه تنظر إلى صلبه (كما هو في الديانة المسيحية) وأخت الحسين عليه السلام شاهدت مصرعه وقطع رأسه فهو أول مسلم يُقطع رأسه ويُرفع على خشبة يُطاف بها في الشوارع والأسواق لغرض التشفّي وهو ما حصل بصورة أو بأخرى مع عيسى عليه السلام. وهكذا، ففاطمة وأبوها وزوجها وأولادهاعليهم السلام مقدسون عند البكتاشية، وكذلك المسيح عليه السلام.

المبحث الثالث:

أدب الملاحم البكتاشية

يتميز هذا الأدب بطول النفس الملحمي فقد كتب الأدباء البكتاش والألبان أطول الملاحم في الإمام الحسينعليه السلام بل ويتسم هذا الأدب بغزارة الانتاج فهذا الأديب الشامي الألباني الأصل البكتاشي معروف الأرناؤوط المؤلف للعشرات من الكتب والمترجم لمجموعات من الروايات والمتميز بغزارة نتاجه له رواية عن النبيصلى الله عليه وآله وهي (رواية سيد قريش التي تتألف من ثلاثة أجزاء بـ٨٥ فصلاً وتعتبر بحق كما كان يجب أن يسمّيها ملحمة أكثر من كونها رواية... ويكتب رواية أخـرى هي فاطمة البتول)[٢٨].

هذه الرواية ليست اليتيمة في الأدب الألباني المكتوب بالعربية بل يوجد غيرها وهي سمة يتمتع بها الأدباء الألبان أي في طول الأعمال الأدبية فإذا ما رجعنا إلى أصول الأدب الألباني البكتاشي المكتوب بالأبجدية العربية (أي باللغة الألبانية بالحروف العربية) نجدهم قد كتبوا ملاحم شعرية كبرى عن الحسينعليه السلام وملاحم من آل البيت عليهم السلام حتى أصبح لواقعة كربلاء أكبر الأثر في الأدب الألباني وقد كتب الألبان تلك المطولات الشعرية لتُنشد في عاشوراء وخاصة في الأيام العشرة الأولى من المحرّم ففي هذه (الأيام لا يُسترجع فيها ذكرى كربلاء فقط بل الحوادث والتضحيات الأخرى لبعض الأنبياء والأئمة أيضاً، وقد جرت العادة على تقسيم هذه الأيام العشرة بحيث تُترك كل ليلة لذكرى خاصة.

١. في الليلة الأولى تُسترجع فيها معاناة بعض الأنبياء كآدم ونوح وإبراهيم ويوسف وموسى وعيسى.
٢. في الليلة الثانية تُسترجع ذكرى النبي محمدصلى الله عليه وآله وما عاناه مع قومه.
٣. الليلة الثالثة تُخصص لذكرى الإمام علي الذي سقط شهيداً في سبيل العدالة.
٤. في الليلة الرابعة تُفتح سيرة الإمام الحسينعليه السلام.

٥. الليلة الخامسة تترك لسيرة الإمام الحسين عليه السلام.

٦. في الليلة السادسة تُسترجع ذكرى هجرة الإمام الحسين من المدينة إلى مكة.

٧. الليلة السابعة لمسلم بن عقيل الذي ذهب مبعوثاً من الحسين إلى الكوفة.

٨. في الليلة الثامنة تُسترجع فيها ذكرى انطلاقة الحسين إلى ضواحي الكوفة.

٩. الليلة التاسعة تخصص لذكرى وصول الإمام الحسين إلى ضواحي الكوفة حيث يستلم رسالة مسلم عليه السلام الذي ينصحه بعدم القدوم.

١٠. الليلة العاشرة تترك أخيراً لذكرى موقعة كربلاء.

ومع انتهاء المأتم يحضّر ويُقدّم في التكية طبق من الحلوى يسمى عاشوراء الذي يحضّر سنوياً في هذه المناسبة، باحتفال ديني تُنشد فيه المرثيات للإمام الحسين عليه السلام وبعد انتهاء هذا الاحتفال الذي يتلوه دعاء ديني في جو مطبق من الحداد يقبل المشاركون على أكل حلوى عاشوراء... كما تُنشد القصائد التي تتناول هذه الواقعة)[٢٩]. ويعود ذلك إلى ما فعله بابا سرسم علي الذي ولِدَ في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وتوصل إلى منصب الصدر الأعظم زمن السلطان سليمان القانوني وكذلك للشاعر بابا كمال الدين شميمي وبشكل خاص إلى البابا نصيبي في التكية التي أسسها في فراشر حيث أنجبت هذه التكية كوكبةً من الشعراء الذين أرسلوا ما يمكن تسميته بالأدب الكربلائي في اللغة الألبانية وذلك على شكل ملاحم شعرية مطوّلة لم يعرفها الأدب الألباني من قبل[٣٠].

وأول هذه الملاحم هي للشاعر البكتاشي الألباني الكبير داليب فراشري وهو من شعراء النصف الأول للقرن التاسع عشر ولِد في قرية فراشر جنوب ألبانيا، إذ قضى معظم حياته في تكية فراشر لبابا نصيبي العائد من العراق والذي أسس هذه التكية، وبعد أن أخذت تنتشر تقاليد المأتم الذي يُنظمَّ في الأيام العشرة الأولى من شهر محرّم، وفي تلك الليالي كانت مقاطع من الملاحم الفارسية والتركية وخاصة (روضة الشهداء لواعظ الكاشف وحديقة الشهداء لفضولي البغدادي) اللتان تخلدان أحداث كربلاء الأمر الذي شجّع داليب فراشري على أن ينظم ملحمة خاصة بالألبان اطلق عليها حديقة الشهداء كما هو الحال مع روضة الشهداء بالفارسية وحديقة الشهداء بالتركية ومقتل الإمام الحسين عليه السلام لابي مخنف وغيره بالعربية كتب داليب حديقة الشهداء بالألبانية كي تعبر عن الثقافة الألبانية في هذا الموضوع، وقد أتم الملحمة سنة ١٨٤٢ في حوالي ستين ألف بيت من الشعر وهي لاتزال أطول ملحمة في تأريخ الأدب الألباني موزّعة على عشرة فصول يتناول الفصل الأول فقط تأريخ العرب قبل الاسلام، بينما تتناول الفصول الآخرى موقعة كربلاء[٣١]، وهي مستوحاة من الليالي العشر في محرم كما ذكرنا سابقاً.

في هذه الملحمة يستعرض الشاعر البكتاشية في المناطق الألبانية حيث يتحدث عن أهم الشخصيات التي ساهمت في نشر هذه الطريقة. وتعبر عن التغيرات التي حدثت في المجتمع الألباني نتيجة لإنتشار الطريقة البكتاشية فيه[٣٢]. وله قصائد صغيرة يتغنى بها ببطولات الأئمة ومن ذلك ما يقوله في إحدى قصائده عن كربلاء:

ذلك المكان
اختاره جناب المنان
فقد أراد بنفسه
أن يزجّ به في ذلك الميدان
ما عانى منه الملك
في ذلك الميدان
لا يمكن لأي إنسان ان يعبر عنه
مهما أوتي من قوة
من جناب الغفور
نزلت آية
يا حسين يا صبور
لا تكن صاحب قسوة

ويلاحظ بشكل عام على أشعار داليب كثرة استعمال الكلمات العربية[٣٣].

ويأتي من بعد داليب أخوه الأصغر شاهين فراشري وهو من شعراء النصف الثاني للقرن التاسع عشر الذي أنجز ملحمته (مختارنامه)، وتعد الملحمة الثانية في تأريخ الأدب الألباني كتبها سنة ١٨٦٨. وهي تتكون من اثني عشر ألف بيت من الشعر وهي نسبة إلى المختار الذي أخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام[٣٤]. وتوجد من هذه الملحمة نسخة مخطوطة في المكتبة القومية بتيرانا[٣٥] (عاصمة ألبانيا).

ولم تخرج الملاحم الكربلائية عن آل فراشري، إذ يأتي بعد داليب وشاهين ابن أخيهما نعيم فراشري ١٨٤٦-١٩٠٠. الذي يُعد من أكبر الشعراء الملحميين الألباني بل هو شاعر الألبان الذ ولِدَ في فراشر وتعلّم الفارسية والعربية ويُعد من الشعراء الصوفية البكتاشية ويتميز بسعة اطلاعه على الآداب الشرقية وبتأثيره العظيم في نفوس معاصريه من الألبان ومَنْ بعدهم. وهو من القوميين الألبان كما يبدو في ملحمة كربلاء التي تُعد أشهر أعماله إذ صدرت الطبعة الأولى من هذه الملحمة في بوخارست في رومانيا بينما لم تصدر الطبعة الثانية لاعتبارات خاصة في يوغسلافيا وألبانيا وكتب نعيم هذه الملحمة عندما كان يستمع في طفولته في التكية إلى عمّه داليب وشاهين ولكنه أراد أن ينظم ملحمة أكثر أصالة للألبان فعكف على تأليفها من عام ١٨٩٢-١٨٩٥ فصدرت عام ١٨٩٨ في عشرة الآف بيت من الشعر وبالمقارنة مع الملحمتين السابقتين فقد تميزت ملحمة نعيم بروح قومية وبقيت لأجل ذلك حية في نفوس الألبان.

وطُبعت للمرة الأخيرة سنة ١٩٧٨[٣٦]. ويبدو الدافع القومي في تأليف هذه الملحمة واضحاً وخاصة في نهايتها إذ يقال:

يا الله لأجل كربلاء
لأجل الحسن والحسين
لأجل الأئمة الاثني عشر
الذين عانوا ما عانوه في الحياة
لا تدع ألبانيا تسقط أو تُمزق
بل لتبقى خالدة
وليكن لها ما تريد
ليبق الألباني بطلاً كما كان
ليحبّ ألبانيا
ليموت في سبيل وطنه
كما مات المختار في سبيل الحسين[٣٧].

قام الشاعر الكبير نعيم فراشري بتقسيم ملحمته كربلاء إلى خمسة وعشرين فصلاً مرقمة دون عناوين يتناول كل فصل حادثةً أو أكثر. ففي الفصل الأول يتحدث نعيم عن العرب قبل الاسلام وعن ظهور النبي محمد ﷺ وعن كفاحه حتى هجرته إلى المدينة وانتصار الاسلام وعن وفاته وعن صراع السقيفة وعن المشاكل التي اعقبت ذلك حتى اغتيال عثمان بن عفان.

والفصل الثاني عن مبايعة للامام علي وعن عهده، وعن كفاحه في سبيل العدالة الاجتماعية فيقاربه مع كبار الأنبياء.

والفصل الثالث يتناول المشاكل التي أعقبت مبايعة الإمام عليه السلام والصراع في معركة الجمل إذ يقول نعيم على لسان علي عليه السلام:

لنا أخوة
لكن الشيطان دخل بيننا
ليعبث بالفقراء
لذا لا تشهروا السيوف لتقتلوا
بل عن انفسكم لتدافعوا
وإلاّ فسوف تندمون
فهولاء هم أخواتنا
فهل يقتل أخٌ أخاه؟

وفي الفصل الرابع يتحدث نعيم عن النزاع بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية والقتال الذي حدث في صفين وعن موقف الإمام علي عليه السلام عندما سقى جُند معاوية بالماء، وهنا يبرز فراشري إنسانية الإمام عليّ عليه السلام على عكس ما حدث مع الحسين وأصحابه في كربلاء.

لن نترككم دون ماء
فالماء لله
وليس للناس

وفي الفصل الخامس يتحدث نعيم عن بطولات الإمام علي عليه السلام في هذه الموقعة وعن حصانه وعن سيفه ذي الفقار، ويتحدث كذلك عن حادثة رفع المصاحف وخدعة عمر بن العاص لأبي موسى الأشعري.

وفي الفصل السادس يتحدث عن اغتيال الإمام علي عليه السلام فيقول عنه:

هو مازال حياً إلى اليوم

للمشتاق إليه

وفي هذا الفصل يتحدث كذلك عن مبايعة ابنه الإمام الحسن عليه السلام من بعده إلاّ أنه سرعان ما يتعّرض للاغتيال بعد أن فشلت سابقاً أربعون محاولة لاغتياله، كما يقول نعيم فراشري.

وفي الفصل السابع يتحدث نعيم عن تأمين معاوية الخلافة ليزيد من بعده وهنا يبدأ موقف الإمام الحسين عليه السلام ويرسل له أهل الكوفة الرسائل يطلبون منه القدوم ويبدأ هنا موقف مسلم بن عقيل وما جرى له، عندما وجد نفسه وحيداً في الكوفة. وفي الفصل الثامن يتحدث عن مقتل مسلم بن عقيل.

وفي الفصل التاسع يتحدث نعيم عن تقدم الإمام الحسين نحو الكوفة حيث يبدأ تأزم الموقف عندما يصل إليه خبر مقتل مسلم بن عقيل ويصل الحسين ويحاصره الحر بن يزيد التميمي ويزداد الإمام اصراراً على متابعة سيره.

وفي الفصل العاشر يتحدّث نعيم عن اللحظات الأولى من وصول الإمام عليه السلام إلى كربلاء ويطلب الإمام من جيش ابن زياد ان يتركوه يعود ولكنهم يرفضون.

وفي الفصل الحادي عشر يقترب نعيم من اللحظات الأخيرة التي سبقت الاشتباك ففي هذه اللحظات يجري نعيم الحوار الأخير بين الإمام وعمر بن سعد.

أنا للموت سائر

لكن قضيتي لن تموت

بل سيطَالب بدمي هذا

فالعالم لن ينسى

وفي الفصل الثاني عشر يتابع نعيم عرض المعركة مفصلاً في تصوير التضحيات العظيمة التي يقدّمها أصحاب الحسين في سبيل أمامهم فيقول:

فالقلب الذي لا يبكي

ولا يشعر بالأحزان

لا يعرف الانسانية أبداً

وهنا يقول نعيم للألبان

يا أيها الألبان أذرفوا الدموع

انتم يا مَنْ تؤمنون بعلي

يا مَنْ تؤمنون بالانسان

يا مَنْ تحبون الإمام الحسين

والأم فاطمة

والأئمة الأثني عشر

الذين عانوا في سبيلنا

تذكروا ذلك اليوم

تذكروا كربلاء

وما حدث بها

في الفصل الثالث عشر، يحدثنا نعيم فراشري عن بطولات بعض الشهداء في المعركة الذين استبسلوا حتى اللحظة الأخيرة في الدفاع عن إمامهم.

وفي الفصل الرابع عشر يتحدث نعيم فراشري عن العطش الذي أصبح سلاحاً لا يُقاوم في وجه الحسين وأصحابه فالماء أمامهم والعدو يحاصرهم والشمس اللاهبة فوقهم وليس لهم إلاّ الشهادة أو الاستسلام، ويتحدث عن موقف العباس عليه السلام هنا.

وفي الفصل الخامس عشر يصور لنا نعيم بطولات عظيمة من معركة كربلاء فيتحدث عن علي الأكبر وعن زين العابدين عليه السلام المريض.

وفي الفصل السادس عشر يتحدّث نعيم عن الإمام الحسين عليه السلام حديثاً مطولاً إذ يقول نعيم على لسان الحسين عليه السلام:

لا يسوؤني ما جرى لنا
لأن هذا ما كتبه الله
بل يوؤني ما جرى للوطن
للعهد والدين
والانسانية
ما أردتُ في حياتي
أن أقاتل الناس
ما أردت أن أحمل وزر ذبابة
لأقتلها
فكيف أقتل الناس؟
هذه المجزرة لن تُنسى أبداً
بل ستُذكر دائماً
ستبقى في ذاكرة العالم
طالما طالت هذه الحياة
لا تتركوني حياً

وفي الفصل السابع عشر وهو ذروة الملحمة فهو خاص بالحسين عليه السلام بكامله يحدثنا فيه نعيم عن فراق الحسين عليه السلام لنسائه وأولاده.

وفي الفصل الثامن عشر يتحدث عن موقعة كربلاء بعد سقوط الإمام الحسين عليه السلام وعن السبي. وفي الفصل التاسع عشر يتحدث نعيم عن انتشار فاجعة كربلاء في العالم. ووصول رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد.

وفي الفصلين العشرين والحادي والعشرين يتحدث نعيم عن أئمة أهل البيت حتى آخر العهد الأموي وفي الفصل الثاني والعشرين والثالث والعشرين يتحدث عن سقوط الحكم الأموي وفي الفصل الرابع والعشرين يتحدث عن وصول العباسيين للسلطة وعن غيبة الإمام المهدي عليه السلام.

وفي الفصل الخامس والعشرين وهو فصل مميز يتحدث نعيم عن الترابط الانساني القومي للدين والشعور القومي الأبباني، ويقول أن الدين لا يناقض القومية:

لنحب بني الانسان

لنحب ألبانيا والألبانيين

لنحب لغتنا ووطننا

فالله قد منحنا إيّاها

ولكل قوم وطنه

كما للعصفور عشه

وهكذا فهذه الملحمة تستلهم الروح الحسينية لمصلحة ألبانيا فقد ترك نعيم فراشري تأثيراً كبيراً في نفوس الألبانيين بهذه الروح القومية. فهذه الملحمة هي المثل الأعلى للألبانيين عندما أرادوا الاستقلال وتكوين دولتهم[٣٨].

وهكذا نجد أن تلك الملاحم الكبيرة قد خرجت للناس من شعراء يتحسسون التغيرات الكبرى التي ستحصل في بلدهم، فالملحمة ليست وليدة لحظة شعرية بسيطة بل هي وليدة مخاض أمة تريد ان تنهض وتتكوّن وهي في طور النشوء. لذلك تميز الأدب الألباني بهذه الملاحم الدينية القومية الكبرى، بل وتميز الأدب الألباني بأدباء وكُتّاب ألّف الواحد منهم عشرات الكتب، ونظم العديد من الدواوين، إنها الروح الكبيرة التي تنتج الكثير، أنها روح لا تعرف الكسل ولا الملل ولا الخنوع، إنها روح شعب عظيم، هي تلك روح البكتاشيين، وخاصة رواد الحركة القومية الألبانية، لذلك فهولاء آباء القومية الألبانية مارسوا تأثيراً كبيراً في جيلهم، والأجيال التي بعدهم. ولا يستطيع أي كان أن ينتج هذا الأدب والتأليف ما لم يكن يمتلك تلك الروح التي لا تنضب.

وتبقى اسرة فراشري ممثلة بنعيم وأخيه شمس الدين سامي فراشري من كبار مؤسسي الحركة القومية الألبانية فسامي فراشري هو منتظّر تلك الحركة، إذ كان سامي ونعيم يبحثان عمّا هو مشترك قومي يوحّد الألبان وليس على ما هو مختلف ولذا استلهم نعيم ثورة الإمام الحسين عليه السلام، لأن الأمم العظيمة لا تنهض إلاّ بروح زعماء عظام يعلون على سفاسف الأمور. فكان الحسين عظيماً وكان لداليب فراشري وشاهين فراشري ونعيم فراشري وشمس الدين سامي فراشري ومعروف الأرناؤوط وشأناً كبيرا كل مَنْ سار في ركب النهوض بأمته.

وعندما نستعرض حياة الأدباء البكتاش أو الألبان عامة، نجد الميزة الواضحة لديهم هي كثرة النتاج الأدبي والفكري، إذ لا نستغرب بعد ذلك عندما تعرف أن محمد علي باشا محدّث وباني مصر هو ألباني بكتاشي.

وكذلك اسكندر بك الكبير الذي أوقف الجيوش العثمانية الكبرى هو ألباني مسلم في بداية حياته، ولا نستغرب كذلك عندما نعرف ان الشاعر المصري الكبير ومترجم رباعيات الخيام إلى العربية أحمد رامي هو من أصل بكتاشي إذ كان يُكثر (التردد على تكية الطريقة البكتاشية في القاهرة – وهي تكية بابا أحمد سري – بمفرده

في أغلب الأحيان ومع زوجته في أحيان آخرى، وخاصة في المناسبات كيوم عاشوراء وبابا أحمد سري المتوفى سنة ١٩٦٢ عندما ألّف كتابه الرسالة الأحمدية في تأريخ الطريقة البكتاشية قد ذكر الشاعر أحمد رامي ضمن أعلام مشايخ الطريقة البكتاشية)[٣٩].

هذه لمحات من أدب الملاحم البكتاشية الألبانية ولكن هناك شعراء آخرون ينتمون للطريقة نفسها كان لهم شعر وليس ملاحم كبرى، منهم الشاعر البكتاشي الصوفي كامبيري الذي كتب قصيدة بعنوان معاوية، وهي بمئة بيت إذ تحوّل معاوية رمزاً للشر كما هو يزيد الذي هو الشيطان عند البكتاشي، ويُعد كامبيري أول مَنْ استثمر كربلاء في الشعر الألباني في القرن الثامن عشر، أي قبل ملاحم آل فراشري في النصف الثاني من القرن الثامن عشر نجد شاعراً آخر هو الشيخ تيماني، وهو من مدينة بيرات، وكان شيخاً للطريقة الخلوتية، وكان رجلاً جليلاً له قصيدة عن الإمام علي عليه السلام[٤٠].

وبغلته الدلدل التي أصبحت ثيمةً للأساطير الشعبية عند البكتاشيين. إذ تحولّت عندهم هذه البغلة البيضاء التي أهداها النبي للامام علي عليه السلام وبقيت حية حتى استشهاد الإمام حسب المعتقد البكتاشي فهي عندهم الحصان الطائر الذي تروى عنه العديد من الحكايا في الأدب الشعبي الألباني...[٤١].

ومن القصص الشعبي ذي الأصول الواقعية مثلاً قصة بناء تكية بابا عبدالمؤمن في كربلاء التي تُعد كما ذكرنا سابقاً من التكايا المركزية الست في العالم واعتقد أنها هي التي تم تهديمها فقد جاء بابا عبدالمؤمن إلى كربلاء منتصف القرن السادس عشر لنشر البكتاشية في تلك المنطقة، فخدم فترةً في مرقد الإمام الحسين عليه السلام مقيماً في خيمة قريبة، وفي عام ١٥٥٣ زار المزار السلطان سليمان القانوني حاملاً معه أمانة هذا الدرويش وفعلاً إلتقاه وأُعجب به، ولما سأله أمنيةً ما ليحققها له قال عبدالمؤمن: لا أريد شيئاً لي سوى أن تقوم بعملٍ صالح لسكان كربلاء بأن تجلب لهم الماء من الفرات وفعلاً أعطى السلطان أوامره، بشق القنوات لجلب مياه الفرات. إلاّ أن العمال وجدوا مصاعب جمّة أعاقتهم عن تنفيذ المشروع حينئذ اغتم السلطان وطلب من بابا عبدالمؤمن أن يتوسل إلى الله لكي يُنجز المشروع فتوجه عبدالمؤمن بعصاته إلى مصدر الماء وبعد أن دعا الله توجه مخاطباً الفرات: يا فرات أنا أعرف أنك تخجل من الذهاب إلى حضرة الإمام الحسين عليه السلام لأنه لم يُكتب له حينئذ أن يروي عطشه منك، الآن لا تخجل فالحسين عليه السلام يريد الماء ليشرب الشعب منها.

وبتأثير هذه الكلمات استطاع العمال أن يتوصلوا إلى طريقة ما لإيصال لمياه لكربلاء وقد اعتبرت هذه معجزة لبابا عبد المؤمن[٤٢].

يعدُّ الشاعر البكتاشي بابا سرسم من الشعراء البكتاشيين الأوائل الذين نظموا الشعر عن أهل البيت عليهم السلام فله قصائد مهمة في الإمام علي عليه السلام وهي تمثل المصادر الأولى لشعر الملاحم لأنه (ولِد في نهاية القرن الخامس عشر وتوصّل إلى منصب الصدر الأعظم في زمن السلطان سليمان القانوني إلاّ أنه تخلى عن هذا المنصب ليتفرغ للدروشة وفعلاً انضم للبكتاشية وترقّى فيها حتى وفاته سنة ١٥٦٩م. وقصائده يسيطر عليها النفس الصوفي البكتاشي منها قوله:

من العالم الذي جبته
رجعتُ عائداً اليكم
فهنيئاً لكم بما أنقذتم به أنفسكم
فلديكم طريق الشاه وصاحب الطريقة
لا أحد يعرف مَنْ هو زعيمنا
مَنْ هو عظيمنا
فذلك يزيد اللعين[٤٣]
لا يفهم قط لغتنا
فطريقنا الحقيقي يُقال له
طريق محمد علي

ونشير هنا إلى أن الشاه في البيت الرابع يرمز إلى الإمام علي عليه السلام، أما البيتان ٥-٦ فيُقصد بها أن البكتاشيين مجردون عن الأنانية فذواتهم قد صُهرت في المجتمع ولذلك فهم لا يقبلون بهذه التمايزات، وفي البيت السابع كلمة يزيد مرادفة لكل مَنْ هو في الطريق الخاطئ والذي لا يفهم التفاصيل الصوفية أما البيت الأخير فتركيب محمد علي يُقصد به أن الإمام علي عليه السلام هو مصدر التصوف البكتاشي وهو في ذلك بوحي من النبي محمد)[٤٤].

ومن قصص البكتاشية وتعلقهم بالحسين عليه السلام في القرن التاسع عشر فذكر قصة بابا كمال الدين شميمي الذي أدّى (دوراً كبيراً في انتشار البكتاشية في المناطق الألبانية منذ أواخر القرن الثامن عشر والذي اغتيل في ظروف غامضة في بداية القرن التاسع عشر فقد كُشِفَ عن رسالة في مكتبة بابا بصري في اسطنبول مبعوثة من أحد الدارويش البكتاشيين المُسمّى محمد علي يعطي فيها بعض المعلومات عن بابا شميمي وفي هذه الرسالة يقول كاتبها: كان بابا شميمي في أحاديثه مع أصحابه يصرّح بأنه يتمنى أن يسقط شهيداً كالإمام الحسين عليه السلام وفعلاً في أحد الأيام كان بابا شميمي وهو واقف أمام نافذة التكية ويقرأ كتاب حديقة السعادة للفضولي البغدادي وبالذات الفصل الذي يتحدّث عن استشهاد الحسين عليه السلام وفي تلك اللحظة أصابته رصاصتان من الخارج في صدره، فنزف منه الدم وسقطت منه نقطتان على الصفحة التي كان يقرأها، وقد حافظ أتباعه على هذا الكتاب وبقي حتى وقت متخر في تكية بابا عاصم في جيروكاسترا، ومع أن بابا شميمي يُعرف كألباني، إلاّ أن هناك إشارات إلى نسبه، فقد كان يرتدي القطعة

الخضراء التي تميز بها الأشراف أو السادة وهو يقول عن ذلك:

لا تنظر إلى ثوبي الذي على جسمي
ولا تدع الشك يتطرق اليك من هذا الثوب
فهو عتيق
إلاّ انني شديد
ففي كل حين تتاح فيه الفرصة
سأحارب بقوة شاب
كما في كربلاء
شميمي يبدو صغيراً
كنقطة في بحر
راكعاً دوماً أمام الله
لكن حين تعرفه جيداً
سيبدو لك بحراً يغطي العالم
آتياً من سلالة علي[٤٥].

ومن القصائد الصغيرة عن أئمة أهل البيت قصيدة لشاعرٍ من القرن التاسع عشر هو بابا زين العابدين وقد كتب أشعاراً كثيرة باللغتين الألبانية والتركية وفي قصيدة عن تكيته يقول:

إقترب لا تبقَ في الخارج
فهذا المكان يسطع فيه النور
طهّر جسدك من الداخل بذلك اللون
فهذا مركز المصطفى والمرتضى
خديجة وفاطمة
هما مصدر هذا النور
هنا مركز يرشدك
إلى المعرفة[٤٦].

ومن الشعراء البكتاشيين الذين كتبوا عن أهل البيت (بابا أحمد توراني من قرية توران، وقد زار في شبابه الأماكن المقدسة في العراق وبعد عودته سنة ١٩٠٨ أصبح بابا التكية الموجودة في قريته، ولكن في عام ١٩١٢ أُحرقت تكيته مع بقية التكايا من قبل الغزاة اليونانيين إلاّ أنه إليها بعد الاستقلال وعادها أجمل مما كانت عليه ومن أشعاره:

صحتُ بصوتٍ قوي
الأمان يا حسين يا شهيد
فمدّ الله القدير
يديه وانتشلني
أنتم يا أهل المرتضى
أرجو ألاّ تنسوني
ألاّ تنزعوا روحي
من سنجق كربلاء[٤٧].

ومن الشعراء كذلك بابا ملتش الذي عاش أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وكان درويشاً في تكية القاهرة، حيث أقام هناك لفترة من الزمن وهو من القوميين الألبان كان يتميز بغزارة انتاجه وقد تم ابعاده عن وطنه ألبانيا وكان يُعبّر عن شوقه للعودة وله قصائد عن الأنبياء وآل البيت ويعبر دائماً عن غربته كقوله:

من ليس لديه حب

ليس لديه وطن

ويقول عن عذابه في قصيدة صوفية:

لا تبك من العذاب والمعاناة

فالحسين نفسه قد عُذّب وعانى

فلا تضل الطريق

فكل معاناة تقربك أكثر من الحياة

هذا الإمام زين العابدين

كم عانى في طفولته

كان طفلاً طري العود

لكنه عرف ما المعاناة

عراء القرن العشرين الألبان الشاعر بابا سليم الذي كان غزير الانتاج فقد كتب الشعر لأكثر من ٢٥ سنة، له ثلاثة دواوين بالعربية، كان خطه جميلاً وقد سأله أحد المستشرقين عن البكتاشية فقال:

نسير على خطى محمد

في أحاديثه وأعماله

ونتابع خطى أحفاده

بأمر من الله

لبسنا ثوب الثقافة

بذلك الذي عرفناه

تابعنا الإمام جعفر

بما خلّفه لنا

ومن الشعراء البكتاش الشاعر بابا علي تموري كان درويشاً في تكية بريشتينا وبعد احراق التكايا خلال الاحتلال اليوناني لألبانيا. ذهب إلى تكية القاهرة حيث أقام هناك، ثم عاد وساهم بشكل فعال بتنظيم المؤتمر البكتاشي الأول سنة ١٩٢١ والثاني ١٩٢٦ والثالث ١٩٢٩ ولم يكن متعصباً دينياً، وحاول أن يقرب بين المسيحيين والبكتاشيين لتقوية الوحدة القومية الألبانية، تميز بكثرة مؤلفاته عن تأريخ البكتاشية وأدبها وكتب عن بكتاشي ألبانيا، وقصائد بكتاشية وله قصائد عن كربلاء وبطولات الإمام الحسين عليه السلام منها قصيدة (شهيد كربلاء) يقول فيها:

ابن فاطمة البتول

زهرة رسول الله

ترك المدينة

وتوجه إلى الله

كل مَنْ ذهبوا معه

عرفوا مصيره في كربلاء

لكنه تابع قدره

اعترض الحر طريقه

ففاضت عيناه بالدموع

فقبّل يديه وقدميه

لكي يعود من حيث أتى[٤٨].

ومن الشعراء البكتاش والمؤلفين المهمين في القرن العشرين بابا أحمد سري الذي تولّى منذ عام ١٩٤٢ تكية القاهرة، وعُرف بنشاطه الواسع وعلاقاته العديدة، طلبت منه السلطات المصرية عام ١٩٥٧ إخلاء التكية وعرضت عليه مكاناً مؤقتاً في منطقة المعادي فأصبح مريضاً، فتوفي عام ١٩٦٢، وله كتاب عن البكتاشية هو (الرسالة الأحمدية في الطريقة البكتاشية وكتاب الأدعية البكتاشية وأشعار عديدة، منها قوله:

محمد وعلي
جاءا معاً إلى هذه الدنيا
لكي ينورا الانسان
الذي خلقه الله
علي وفاطمة
خلّفا الحسن والحسين[٤٩].

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فللأدب البكتاشي تفرعات أخرى سنأتي على ذكرها ولكن نريد أن نقول أن الألبان والبكتاش سُنة وشيعة ومسيح أحبوا أهل البيت عليهم السلام وهي صفة كانت للشعب الألباني. ومثال ذلك زيارتهم لجبل قرب العاصمة الألبانية تيرانا فعلى قمته دُفنت حفنةً من تراب العباس عليه السلام فُبني هناك مزار يسمونه عباس علي والجبل سُمّي جبل عباس علي إذ يأتي الألبان يزورون هذا المكان من كل المناطق للشفاء والدعاء بل ومنهم المسيح كذلك وهم بالآلاف.

كذلك يحتفل البكتاش والألبان بالمولد النبوي الشريف ويهتمون به كثيراً ولديهم طقوس خاصة بذلك ويتناول الشعراء سيرة الرسول ومناقبه (ويُعد ابراهيم نظيم فراكولا المتوفى سنة ١٧٥٩ أول مَنْ وضع ديواناً شعرياً كاملاً بالألبانية بالحروف العربية بهذا الموضوع ويُعد ذلك تحولاً ثقافياً كبيراً عند الألبان بعد اعتناقهم الاسلام[٥٠].

وتتميز الأوساط السنية الألبانية بالاهتمام بالمولد النبوي والاحتفال به بينما نجد الأوساط البكتاشية تهتم بالمأتم الذي تُنشد فيه الأشعار التي تدور حول كربلاء[٥١]. ويُعد الشاعر السابق الذكر كامبيري من الشعراء الذين كتبوا الشعر بالمولد النبوي وله قصيدة طويلة من واحد وخمسين مقطعاً وكل مقطع يتكون من أربعة أبيات تتحدث عن مولد وحياة ومعجزات النبي صلى الله عليه وآله[٥٢]. فضلاً عن الطقوس التي تقوم بها الطريقة البكتاشية خاصة والألبان عامة كما ذكرنا فيما سبق نجد أن موضوعه مسرحة ملحمة الطف هي إحدى الشعائر المهمة كذلك التي تمارس عندهم إذ يقول أحد الباحثين عن ذلك (مع انتشار الطريقة البكتاشية في أوساط الألبانيين نمت لديهم تقاليد شعبية في العلاقات والعادات والاحتفالات... الخ، فمن ذلك الاحتفال بالنوروز ٢٢/ ٣/ بمولد الإمام علي عليه السلام[٥٣].

ومن المناسبات لديهم المأتم الذي يُنظّم في الأيام العشرة الأولى من شهر محرّم، وفي هذه الأيام لا يشربون الماء تأسياً بأبطال كربلاء كما يتخلون عن الزينة ويذهبون للتكية وهم في الطريق يرددون يا إمام يا إمام)[٥٤].

يقوم المسلمون في ألبانيا شيعة وسنة باحياء مراسيم العزاء، إذ يلبسون السواد ويمنعون عن استعمال الطيب ويقيمون مسرحيات العزاء في الساحات الكبيرة وسط المدن الألبانية ومنها على سبيل المثال مسرحية (حسين جندار) وتعني الحسين المُفدّى وهي باللغة الألبانية.

هذه الطقوس وخاصة المشاهد المسرحية يمكننا أن نجد فيها رمزية عالية وخاصة في مكانها الأصلي (العراق) إذ (يمكن الاستدلال على عائلة الحسين عليه السلام من ألوان ثيابهم الخضر وأن الجنود الأمويين يُستدل عليهم من ألوان ثيابهم الحُمر والصفر، أما الجندي ذو الشعر الأشقر الطويل الذي كان يضرب الأطفال فهو الشمر بن ذي الجوشن وأن شكل الشمر بشعره الأشقر الطويل يدل على عدة معانٍ وإشارات في التشابيه... إذ أن الهيئة التي يبدو عليها هي للتأكيد على أن هذه الشخصية ليست عربية عراقية أو عربية وإنما هي شخصية غريبة عن المكان والتقاليد فو يستحق العقاب الناتج عن تنكرة وتمرّده على التقاليد العربية الإسلامية. وذلك منذ أن تجرأ على قتل الحسين عليه السلام والشمر لم يراعِ التقاليد العربية في احترام نساء وأطفال عائلة الحسين وكذلك هيئة اغلب جنود معسكر أعداد الحسين عليه السلام ما هي إلاّ صورة لعدو المسلمين والعرب ولذلك فهي صورة تعطي كثيراً من الشبه لصورة محارب رومي لا يُعير اهتماماً للتقاليد العربية أو الإسلامية...)[٥٥].

إن مثل هذه الطقوس في مثل هذه الشعيرة سواءاً كانت عند العراقيين أم عند الألبان تعطي (الشعور المشترك وانعدام الحواجز بين الممثلين والجمهور وهما اللذان يمنحان التمثيليات قوتها المؤثرة فالممثلون والمشاهدون يتداخلون فيما بينهم)[٥٦].

ليس هذا وحسب بل، ان هذه الطقوس قد تضاف لها زيادة آخرى حسب كل منطقة تساعد على اعادة انتاجها محلياً بصورة مختلفة عن غيرها في أماكن آخرى حسب واقع حال الممارسين لها، إذ يظهر التكافل والتضامن في طقوس زيارة الأربعين مثلاً تعزيزاً للهوية الشيعية، وكل يقدم حسب ما يمكنه، ومثل هذه الطقوس هي فرصة كي تعيد في الجماعات تنظيم نفسها وإعادة مراجعة واقعها، واكتشاف قدراتها، وبهذا تتمايز عن غيرها، وتبدع طرقاً اجتماعية لم تكن معروفة وتبتكر أفكاراً تضامنية خارج اطار الدولة والسلطة فمثلاً في الطريق بين النجف وكربلاء تم ترقيم (أعمدة الكهرباء تصاعدياً حيث يبدأ العمود الأول بالرقم ١ في النجف وينتهي العمود الأخير بالرقم ١٤٥٧

قرب مرقد الإمام الحسين عليه السلام وهي مسافة تُقدر بـ٨٣كم. وتستخدم هذه الطريقة في الترقيم لأغراض عديدة من بينها ان تكون الأعمدة للدلالة على المسافة المتبقية لبلوغ كربلاء وتستعمل كذلك كنقطة دالة بين الزوار أنفسهم حين يسيرون في بعض الأماكن التي يجهلون أسماءها)[٥٧]، وحين يجتمع الزائرون ويمارسون البكاء الجماعي فهذا نوع آخر من التكافل والتعاضد النفسي والاجتماعي عندما يتجاوب الجمهور مع الرادود (كتجاوب الشاطيء مع تلاطم الأمواج ويشكّل نوعاً من الكورس المشارك فيما يجري)[٥٨].

الهوامش

١. يُنظر تأثير التكايا في التصدي للغزو الفكري، رفعت اسوادي عبد الناشي، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ٢٠١٢، ص١٦٥.

٢. يُنظر مداخلات عربية بلقانية في التاريخ الوسيط والحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سنة ٢٠٠٠، د. محمد موفاكو الأرناؤوط، ص٥٧.

٣. مداخلات عربية بلقانية، ص٥٧.

٤. تأثير التكايا، ص١٥٦.

٥. مداخلات عربية بلقانية، ص٥٦.

٦. يُنظر من الأدب الألباني مع مقدمة في الصلات الأدبية العربية الألبانية، د. محمد موفاكو، مجلة التراث العربي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع٣ سنة ١٩٨٠، ص٥٩-٦٠.

٧. مداخلات عربية بلقانية، ص٥٧.

٨. دائرة المعارف الإسلامية كلمة بكتاشية بقلم المستشرق تشودي، ٤/ ٣٩.

٩. دائرة المعارف الإسلامية، ٤/ ٣٩.

١٠. الاسلام في أوربا المتغيرة تجربة ألبانيا في القرن العشرين، د. محمد الأرناؤوط، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط، سنة ٢٠٠٧، بيروت، ص٨٠.

١١. يُنظر مداخلات عربية بلقانية، ص٥٩.

١٢. البكتاشية، د. محمد موفاكو، مجلة العربي، آذار سنة ١٩٧٧، ص٦٦.

١٣. المصدر نفسه والصفحة.

١٤. تأثير التكايا، د. رفعت ص١٥٨.

١٥. مدخلات عربية بلقانية، ص٦٠.

١٦. يُنظر المصدر نفسه، ص٦١.

١٧. المصدر نفسه، ص٥٨.

١٨. المصدر نفسه، ص٦١.

١٩. المصدر نفسه، ص٦٢.

٢٠. المصدر نفسه، ص٦٢.

٢١. المصدر نفسه، ص٦٣.

٢٢. دائرة المعارف ٤/ ٣٨.

٢٣. يُنظر البكتاشية، ص٦٦.

٢٤. يُنظر المصدر نفسه، ص٦٥.

٢٥. مداخلات عربية بلقانية، ص٥٦.

٢٦. البكتاشية، د. محمد موفاكو، ص٦٦.

٢٧. المسيحية دين التضحية والسلام والمحبة التأثير في الأفكار والمعتقدات، د. صلاح رشيد البياني، مجلة الموسم، عدد ٩٦ ص٤٨٦. مجلة الموسم عدد ٩٦ ص٤٨٦.

٢٨. عودة إلى معروف الأرناؤوط، د. محمد موفاكو، مجلة البيان (كويت) عدد ١٢٤، تموز، سنة ١٩٧٦، ص٢٥.

٢٩. ملامح عربية وإسلامية في الأدب الألباني، د. محمد الأرناؤوط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، سنة ١٩٩٠، ص٣١-٣٣.

٣٠. يُنظر مدخلات عربية بلقانية، ص٦٣.

٣١. يُنظر ملامح عربية إسلامية في الأدب الألباني، ص٦٤. ومداخلات عربية بلقانية، ص٦٣.

٣٢. ينظر الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، د. محمد موفاكو، سلسلة عالم المعرفة، كويت، سنة ١٩٨٣، ص١٥١.

٣٣. يُنظر من الأدب الألباني مع مقدمة في الصلاة، ص٧٥.

٣٤. يُنظر ملامح عربية إسلامية في الأدب البلقاني، ص٦٤. ومداخلات عربية بلقانية، ص٦٤.

٣٥. يُنظر من الأدب الألباني مع مقدمة، ص٧٦.

٣٦. يُنظر ملامح عربية إسلامية في الأدب الألباني، ص٣٣ وص٦٥. وينظر مداخلات عربية بلقانية، ص٦٤.

٣٧. يُنظر الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، ص١٥٣.

٣٨. يُنظر ملامح عربية إسلامية في الأدب الألباني، د. محمد موفاكو الأرناؤوط، ص٣٣-٦٢.

٣٩. صفحات مجهولة في حياة الشاعر أحمد رامي، د. محمد موفاكو، مجلة العربي، تموز، ١٩٨٠ ص٤١.

٤٠. يُنظر الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، ص٣٠-٣١.

٤١. من الأدب الألباني مع مقدمة في الصلات، ص٦٩.

٤٢. يُنظر المصدر نفسه، ص٧١.

٤٣. إن كلمة يزيد Jezit قد أصبحت في اللغة الألبانية تحت تأثير البكتاشيين مرادفة لشرير وحتى يمكن أن يُشتم بها.

٤٤. المصدر نفسه، ص٧٢.

٤٥. المصدر نفسه، ص٧٣.

٤٦. المصدر نفسه، ص٧٦.

٤٧. المصدر نفسه، ص٧٧.

٤٨. المصدر نفسه، ص٨٠.

٤٩. المصدر نفسه، ص٨١.

٥٠. من نتاج الاستشراق الأباني الجديد، د. محمد موفاكو الأرناؤوط مقال على الانترنت جريدة الحياة يوم ١٧/ ١١/ ٢٠١٢.

٥١. يُنظر الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، ص١٢٨.

٥٢. يُنظر المصدر نفسه، ص١٢٩.

٥٣. النوروز عندهم يوم ٢٢ آذار وليس ٢١ آذار.

٥٤. ملامح عربية إسلامية في الأدب البلقاني ص٣١.

٥٥. تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث، فرج الحطاب، مجلة الكوفة، امريكا، سنة ٢ عدد ٣، صيف ٢٠١٣، ص١٨٤.

٥٦. الشيعة، هانز هالم، ص٧١.

٥٧. تطور طقوس الحداد، ص١٨٤.

٥٨. الشيعة، هانز هالم.

المصادر والمراجع

١. البياني، صلاح رشيد، المسيحية دين التضحية والسلام والمحبة التأثير في الأفكار والمعتقدات،، مجلة الموسم، عدد ٩٦ ص٤٨٦. مجلة الموسم عدد ٩٦.

٢. الحطاب، فرج، تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث، مجلة الكوفة، امريكا، سنة ٢ عدد ٣، صيف ٢٠١٣.

٣. الأرناؤوط، د. محمد، الاسلام في أوربا المتغيرة تجربة ألبانيا في القرن العشرين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط، سنة ٢٠٠٧، بيروت.

٤. الأرناؤوط، محمد، ملامح عربية وإسلامية في الأدب الألباني،، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، سنة ١٩٩٠.

٥. الأرناؤوط، محمد موفاكو من نتاج الاستشراق الأباني الجديد، مقال على الانترنت جريدة الحياة يوم ١٧/ ١١/ ٢٠١٢.

٦. عبد الناشي، رفعت اسوادي، تأثير التكايا في التصدي للغزو الفكري، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ٢٠١٢.

٧. موفاكو، محمد، الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، سلسلة عالم المعرفة، كويت، سنة ١٩٨٣.

٨. موفاكو، محمد، صفحات مجهولة في حياة الشاعر أحمد رامي، مجلة العربي، تموز، ١٩٨٠.

٩. موفاكو، محمد، عودة إلى معروف الأرناؤوط،، مجلة البيان (كويت) عدد ١٢٤، تموز، سنة ١٩٧٦.

١٠. مداخلات عربية بلقانية في التاريخ الوسيط والحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سنة ٢٠٠٠.

١١. موفاكو، محمد، البكتاشية، مجلة العربي، آذار سنة ١٩٧٧.

١٢. موفاكو، محمد، من الأدب الألباني مع مقدمة في الصلات الادبية العربية الألبانية،، مجلة التراث العربي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع٣، سنة ١٩٨٠.